أخرى ، وهو على رغم ذلك كله حريص على أن يغدو إلى متجره كل يوم ، فيقضي بعض نهاره عاملاً لدنياه ، كأنه على شيخوخته وضعفه ، يعيش أبدا

إن الدين فقه ، فما يحفظ رجل الدين عليه حرمته ، إذا وزن الدعوة إليه بالدرهم والدينار ، إنما يسمو رجل الدين ، وتخلص روحه ، وتصقل نفسه فلا تمسها شائبة من أكدار الدنيا ، إن يلتمس على جهده مثوبة الله وحده ، مزدرياً للوظيفة تجرى عليه فتذكره كلما أوشك أن ينسى ، بأن دعوته رهن بوظيفته ، ووظيفته رهن بدعوته . . . . فهل نوجب على رجل الدين أن يكون زاهداً ؟ كلا بل نريده مع ذلك مكفول الرزق موفوره ، بادى النعمة واليسار ، عالى الكف يعطى ويتعفف أن يأخذ ، وكيف السبيل ؟

سبيل واحد يسلكه داعى الدعاة البهرى ، وعماله فى مختلف البلاد ، وقد سلكه من قبله أشرف البشر وسيد سادتهم محمد عليه الصلاة والسلام ، إذ كان تاجراً ؛ وفى التجارة وهى أم (المعاملات) ، ألوان من الخير والأمانة والصدق والاستقامة والقناعة والتأب ، ومن كل فضيلة فى الأرض ، وهى التى توجت (بالأمين) اسم محمد ، و (بالصادق) أمانة محمد ، فكانا شافعيه لدى الله فى اختياره ، ولدى الخلق فى دعوته

وفى هامش هذا الحديث فلنذكر ، أن داعى دعاة البهرا ، أراد فى العام الماضى ، وكنت حينئذ فى بمبى ، أن يحج إلى كربلاء موطن قبر الحسين ، ومفيض نفسه ودمه ، وإذا سار الشيخ كانت الطائفة كلها تسير ، فلا بد من مظاهر العظمة ومطالع الجلال ، وأسباب التحدث بنعمة الله ، وفى سبيل ذلك اكترى الشيخ باخرة من عظام البواخر ، عبرت به إلى البصرة فى ستمائة بهرى ، وما فتئ مذ وطئت قدماه أرض العراق يمجد الناس من عطاياه ، بأكرم ما يتسع له كرم ، وأكمل ما يفيض به جاه . . فمن أين ؟ من تجارة الشيخ وكد يمينه

* * *

فليته هذا الحديث الذى لا يفرغ منه ، بأمرين ، أولهما أن التعاون والمحبة هما روح الجماعة الصالحة المفلحة ، وعلى قدر القلة فى عدد الجماعة تكون قوة هذه الروح ، فكأن أجدادنا لم يخطئوا حين اتخذوا نظام القبيلة ، وكأننا أحفادهم ، لم نتقدم خطوة واحدة حين خلفنا نظامها

وثانيهما أن التجارة أشرف حرفة وأعف حرفة ، وأكفل حرفة بالنعمة واليسار ، وأيسر حرفة مع الفضيلة ، فاذا أهبنا برجل الدين ، وإنه لأعظم الناس خطراً أن يعوّل عليها ، ويلتمس شرفها ، فأخلق بكل رجل أن يحمّلها أمنيته من الغنى : غنى النفس وفى أعقابه غنى المال ؟

القاهرة

محمد نشبه

النهضة التركية الأخيرة

والموسيقى الشرقية

بقلم عبد الحميد رفعت شيحه

قرأت بشغف عظيم ما خطه يراع الأستاذ القدير الدكتور عبد الوهاب عزام عن « النهضة التركية الأخيرة » وما تناوله من بحث ونقد أبرز الاصلاحات الكمالية بقلم نزيه خاص يظهر منه بجلاء الأسف الشديد الذى يشاركه فيه كل شرقى يعتز بشرقيته على ما قام به الترك من قطع كل ما يصلهم بالشرق ، وتجنبهم كل ما يدنيهم منه كما يتجنب السليم الأجرب ..! معتقدين أنهم بذلك يضمنون عطف الغرب عليهم ، فى حين أنهم لن ينالوا إلا سخرية تلك الأمم التى تقدس الشخصية والجنس

ولما لم يشر حضرة الأستاذ الدكتور إلى حملة الكماليين على الموسيقى الشرقية رأيت أن أتناول هذه الناحية بهذه الكلمة :

للموسيقى الشرقية تاريخ مجيد لم يبق خافياً على أحد . إلا أنه من الإنصاف أن نعترف بفضل الأتراك وخدمتهم لها . فاننا لم نعد نقرأ فقط ما استحدثوه من علوم وفنون فيها ، ومن اشتهر بينهم من أعلام الموسيقى ، بل حفظوا لنا تمارهم الفنية بتدوينهم لها بعد استعمالهم « النوتة الغربية »

وهم وان كانوا إلى وقت قريب يستعملون التدوين للموسيقى على أخطاء كثيرة ، إلا أنهم على كل حال قد صانوا ثروة فنية عظيمة يحق لنا أن نفخر بها أمام الموسيقى الغربية

هذب الأتراك الموسيقى الشرقية وأحدثوا بها فنوناً لم يكن للشرق عهد بها ، وتبحروا فى علم الأنغام ووضعوا لكل نغم شروطاً دقيقة تميزه وتظهر شخصيته بجلاء ، ولهم فى هذا

الميدان جولات موفقة ، حتى أنهم استنبطوا كثيراً من الأنغام الشائعة بيننا ، ووجهوا عنايتهم كذلك إلى علم الايقاع ، ووضعوا لأوزانه طريقة حديثة تدون بها ، كما أن لهم فضلاً لا يستهان به فى ابتكار جملة ضروب زادت من جمال الموسيقى الشرقية . هذا الى اهتمامهم بضبط مسافات السلم الموسيقى الشرقى وعدم تركهم كبيرة ولا صغيرة فى الموسيقى النظرية أو العملية إلا قتلوها بحثاً وتمحيصاً

إنه حق وفضل لا ينبغى إنكارهما . . وقد كنا إلى عهد قريب نعترف لغورين بزعامة تركيا للموسيقى الشرقية

فلما قامت « النهضة التركية الأخيرة » تهللنا بشراً وقلنا لا بد أن القوم لن يقنعوا بما وصلت اليه موسيقاهم من تقدم ونجاح ، وسيدأبون على البلوغ بها إلى أوج المجد والعظمة . . ولكن أحلامنا اللذيذة لم تلبث طويلاً عند ما فوجئنا بقرارات الكماليين القاسية التى منها : استعمال الحروف اللاتينية بدل العربية ، وهجر ألفاظ لغة الضاد ، والترحيب بالمصطلحات اللاتينية و . . . وأخيراً . . عدم استعمال الأرباع الشرقية ، وإلغاء الموسيقى التركية وإحلال الغربية محلها . . !

نزلت علينا تلك القرارات نزول الصاعقة وهدمت ما كنا نبنيه من آمال . . وظهر لنا ما يضمره الكماليون من إسراف فى هجر الشرق والشرقيين ، ومن رغبة فى الفناء فى الغرب والغربيين . . !

تتأثر موسيقى كل أمة ـ كما يتأثر أى فن ـ بعوامل شتى : منها الجو والأخلاق والعادات وغير ذلك . فليس من السهل أن نبدل بقرار ذوق أمة فى غمضة عين ، لأنها لم تكتسب هذا الذوق إلا بمرور الزمن وبفعل مؤثرات البيئة التى تعيش فيها . فقرار التركى الأب « أتاتورك » إلغاء الموسيقى التركية لا محالة خاطئ لأنه يجبر الأتراك على موسيقى لم يتذوقوها ولن يتأثروا بها مطلقاً . . فاذا سمع التركى مثلاً قطعة حماسية غربية فلن تهز مشاعره بقدر ما تفعل فيها قطعة تركية ، لأن الأولى لم تصل إلى طريقة استفزاز شعور التركى ، ولم تصدق فى التعبير عن نفسيته ، بعكس الثانية ؛ ولذا كان الألمانى مثلاً لا يتأثر بموسيقى الفرنسى أو الروسى كما تؤثر فيه موسيقاه ، فكيف بالتركى ، والفرق شاسع جداً بين تقارب أمزجة هؤلاء وبُعد هذا الأخير عنهم . . !

كان الأجدر لو أريد قتل الموسيقى التركية أن تشجع الموسيقى الغربية ويشجع الاقتباس منها والتطعيم بها ؛ فعلى مر الزمان تزول تلك الموسيقى التى لا نصير لها ، بدل هذا التصرف الذى استعملت فيه الطفرة . ولكن من يجرؤ منهم على إعلان هذا الرأى يكون نصيبه شراً مما نال الأستاذ المدرس بالجامعة فى المؤتمر اللغوى ، وحسين جاهد ، وقد أشار اليهما حضرة الدكتور عزام فى إحدى مقالاته القيمة . . !

من هذا نلاحظ أن الديوان الموسيقى الغربى مكون من أصوات كاملة وأنصافها ؛ بينما الديوان الشرقى يتكون من أصوات كاملة وأنصافها وأرباعها أيضاً . . ولكنهم مع ذلك آثروا الديوان الأول لأنه غربى قبل كل شىء . . !

فاذا كان الديوان الغربى موجوداً بتمامه ضمن الديوان الشرقى ، وبذا يتسنى عزف أية قطعة غربية على أية آلة موسيقية شرقية ، مع أنه فى كثير من الآلات الغربية لا يمكن عزف أغلب القطع الشرقية . . . وإذا كانت الأرباع الشرقية تتيح ثروة جديدة فى علم الأنغام زيادة على الثروة التى نحصل عليها من الأنصاف وحدها ، وبذا يتسع المجال أمام الملحن ويمكنه أن يعبر بلحنه عما يشاء . . . . فهل من الحكمة أن نلجأ إلى الديوان الناقص ونترك الديوان الكامل . . . ؟

إن كل مزايا الديوان الغربى موجودة فى ديواننا الشرقى ، وفوق ذلك فان لديواننا مزايا أخرى عندما نستعمل الأرباع الصوتية ، فلا شك حينئذ فى أن قرار الحكومة التركية إلغاء الأرباع الشرقية فى الموسيقى لم يكن لعيب فى هذه الأرباع بل إتماماً للخطة التى رسموها من البعد عن كل ما هو شرقى أو يمت للشرق بصلة . .

الآن . . وقد ظهر للملأ تصرف الحكومة الكمالية وتنصلها من كل ما يقربها من الشرق سواء كان ذلك فى الدين أو العلم أو اللغة أو الفن أو الأخلاق والتقاليد ، فليس من الخير أن يقتصر موقفنا على مراقبة أعمال هذه الحكومة وعلى مناشدة الكتاب والمفكرين أن يتعاونوا فى هذه السبيل « حتى يجلوا عن الأمة هذه الغمة ، ويدفعوا عنها هذه الفتن المدلهمة ، والشبه المضلة ، ثم يسيروا بها على المحجة البيضاء إلى الغاية المجيدة » كما يتوخى الأستاذ الفاضل الدكتور عزام ، بل يجب أن نفكر تفكيراً جدياً فى نقل الفنون الشرقية من تركيا كى نحافظ عليها قبل أن تعفو ويطويها البلى

فالى مفكرى الشرق العربى أرسل هذه الصيحة راجياً أن